المحاضرة الأولى: مفهوم الصحافة

تعد الصحافة أحد أهم ركائز المنظومة الإتصالية في المجتمعات الحديثة لما تؤديه من أدوار معرفية وتنويرية وإعلامية في آن واحد، فهي ليست مجرد وسيلة لنقل الأخبار بل مؤسسة فكرية تسهم في بناء الوعي الجمعي وصناعة الرأي العام وتساعد على ترسيخ قيم الشفافية والمساءلة والديمقراطية، ومع بروز الإعلام الرقمي شهدت الصحافة تحولا جذريا في بنيتها ووظائفها ومفاهيمها الإتصالية إذ لم يعد الفضاء الإعلامي حكراً على المؤسسات التقليدية، بل أصبح مجالا مفتوحا أمام الأفراد والجماعات للتعبير والمشاركة وصناعة المحتوى.

1. مفهوم الصحافة

1.1 لغة:

وردت لفظة (صحيفة) في المعجم الوسيط على أنها: " إضمامة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة وجمعها صحف وصحائف" [1]، إذن فالصحيفة هي مجموعة صفحات تصدر دوريا لنقل الأخبار والمقالات.

يشير مصطلح الصحافة في معجم المصطلحات الإعلامية إلى كلمة press وهي لفظة ترتبط في أصلها بعملية الطباعة والنشر، أي بطبيعة إنتاج الأخبار والمعلومات وتوزيعها على الجمهور، كما تقابل ذات الكلمة في الإستعمال الفرنسي مصطلح jouralisme الذي يعبر عن العلم والفن المتصلين بإصدار الصحف والمجلات وتنظيم محتواها، أما في معجم الرائد فتعرف الصحافة بأنها الفن الذي يقوم على كتابة الجرائد والمجلات وتحريرها، بوصفها وسيلةً لإعلام الناس وتنويرهم بما يستجد من أحداث ومعارف[2].

2.1 اصطلاحا:

تعد الصحافة الورقية ظاهرة إجتماعية وثقافية تعكس صورة المجتمع وتحولاته، إذ لا يمكن فصلها عن سياق الحضارة الإنسانية التي أصبحت تشكل فيها حاجة أساسية لكل دولة ومجتمع

---

[1] معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف، ط2، ج1، مصر، 1982، ص 507.

[2] ينظر: علي كنعان، الصحافة مفهومها أنواعها، المعتز للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، د.ت، ص47.

خاصة في العصر الحديث، فهي تمثل جزءا من البنية الإجتماعية والسياسية ووسيلة فعالة لتشكيل الرأي العام والتعبير عن قضايا الناس وانشغالاتهم، ومن هذا المنطلق اكتسبت الصحافة دورا محوريا في الوعي الجمعي بوصفها فضاءً للتعبير الحر ومكوناً لا ينفصل عن نسيج الحياة الإجتماعية والسياسية للأمم[1].

2. نشأة الصحافة

ترافق ظهور الصحافة مع شعور الإنسان بالحاجة الدائمة إلى توثيق الأحداث ونقل الأخبار إلى الآخرين، فكانت وسيلة للتواصل وفهم العالم المحيط به، فالصحافة ليست وليدة العصر الحديث بل تمتد جذورها إلى فجر الحضارات الإنسانية، وقد اتخذت أشكالا متنوعة بداية من النقوش على جدران الكهوف التي مثلت أولى محاولات التعبير الجماعي مرورا بالكتابات الحجرية والبرديات التي استخدمتها الحضارات القديمة مثل المصريين والبابليين والرومان لنقل القرارات الرسمية والأحداث العامة ومع مرور الزمن تطورت هذه الوسيلة تدريجياً لتلعب دورا محوريا في حياة الإنسان والمجتمع حيث لم تعد مقتصرة على مجرد نقل الأحداث بل أصبحت أداة لمراقبة المتغيرات الإجتماعية والسياسية.

1.2 في العالم الغربي

يرى عدد من المؤرخين أن ظهور النماذج الأولى للإعلام المكتوب تبلور بوضوح في روما مع بروز ما يسمى ب **الأكتابيبليكا و الأكتديرنا Publica et Acta Durna**، والتي تعد من أولى أشكال الإعلام الموجه للجمهور وقد انتشرت هذه النماذج في عدد من المدن الأوروبية خلال تلك الفترة، حيث ظهرت في ألمانيا أوراق تتناول أخبار الأسواق التجارية والضرائب والتحركات الديبلوماسية، ومع مرور الوقت تطورت هذه الأوراق البدائية لتشمل أخبارا علمية وثقافية، وبرزت كذلك منشورات أخرى مثل Les canard et Les Occationnelles وهي أوراق كانت تعنى

[1] ينظر: عدنان أبو فخر، الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب العربي، دمشق سوريا، 1985م، ص51 ص52.

بنشر الكوارث والأنباء العامة، وقد ساهم اختراع الطباعة وتطور وسائل النقل والإتصال في إحداث نقلة نوعية سمحت بانتشار الصحافة على نطاق واسع [1].

أما عن ظهور أول صحافة مكتوبة في العالم فقد ظهرت ثلاث تيارات رئيسية كل تيار له مرجعيته الخاصة: [2]

التيار الأول

يعود تاريخ ظهور أول صحيفة إلى مصر حيث وجدت صحيفة عسكرية نقشت على الحجر وأشرف على تحريرها شخص يدعى (بتاح) وجرى توزيعها شهريا على قادة الجيش.

التيار الثاني

نسبوا ظهور أول صحيفة إلى مدينة الصين وهو المكان الذي عرف فيه لأول مرة الورق في عصر المسيحية وهو موطن أول إيداع مطبعي كما كانت تنشر النصوص هنا على الخشب

التيار الثالث

ينسب ظهور الصحف لأول مرة إلى عالمنا العربي من خلال المعلقات التي كانت تعلق على أستار الكعبة في الجاهلية وتعرف بالمعلقات السبع نسبة إلى شعرائها

2.2 في العالم العربي:

برزت بوادر الصحافة العربية في اواخر القرن الثامن عشر بمدينة القاهرة، وذلك عقب الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت سنة 1798م إذ رافقت الحملة بعثة علمية قامت بإنشاء مطبعة حديثة تولت إصدار ثلاث صحف، كانت اثنتان منها بالفرنسية بينما صدرت الثالثة باللغة العربية باسم " الحوادث اليومية " وكان يشرف عليها إسماعيل بن سعد الخشاب إلى جانب مجموعة من المحررين، وتوقف صدور هذه الصحف بانسحاب الفرنسيين من مصر سنة 1801م، ولاحقا انشئت صحف جديدة من بينها صحيفة " جورنال الخديوي " سنة 1827م على يد محمد علي والي

---

[1] ينظر، فتيحة أوهايبية، الصحافة المكتوبة في الجزائر – قراءة تاريخية– مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 16، 2014، ص 248.

[2] ينظر: فتيحة أوهايبية، المرجع السابق، ص 249– 250.

مصر قبل أن تتحول إلى " الوقائع المصرية" سنة 1828م، أما ثالث الصحف العربية فتمثلت في صحيفة " المبشر" الجزائرية التي أصدرها الإستعمار الفرنسي في الجزائر سنة 1847م بأمر من الملك لويس فيليب [1].

وبعد ذلك سرعان ما بدا العرب يخوضون غمار ميدان الصحافة بأنفسهم معتمدين على مطابعهم الخاصة مستفيدين من الخبرة التي سبقتهم في هذا المجال ومن بين أشهر الصحف المتواجدة أنذاك في الوطن العربي نذكر:

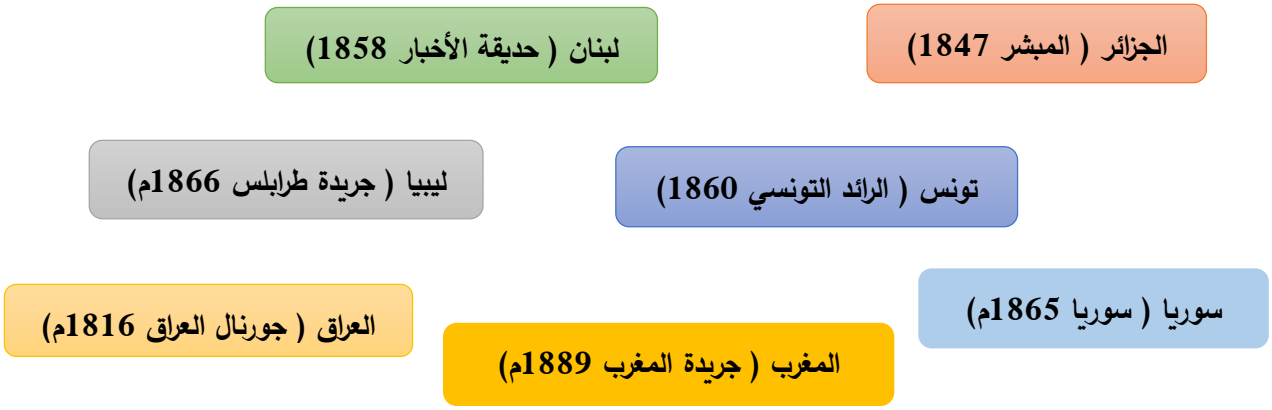

3.2 في الجزائر

تشير الدراسات التاريخية إلى أن الجزائر لم تعرف الصحافة المكتوبة قبل سنة 1830م أي قبل الغزو الفرنسي والإستيلاء على البلاد فعندما استعد الجيش الفرنسي لحملته على الجزائر جلب معه مطبعة وهيئة تحرير تولت إصدار أول جريدة تحت عنوان "Lestafette de sidi fredj" وكانت صحيفة ذات طابع إستعماري واضح هدفها خدمة المشروع الإستعماري وترسيخ مبادئه ونشر سياسته في المجتمع الجزائري، وأمام هذا الواقع بادرت الأقلام الحرة سواء الفردية أو المنطوية ضمن الجمعيات والأحزاب، إلى الإهتمام بمجال الصحافة وخوض معتركه، بغرض تشكيل رأي عام يعبرعن مبادئها والدفاع عن قضايا الأمة، كما أدت دورا هاما في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية خاصة اللغة والدين، وقد صدر أول عمل صحفي عربي في الجزائر سنة 1847م بعد سبعة عشر عاما من الإحتلال وكان بعنوان (صحيفة المبشر) ، ثم توالى ظهور الصحف الاخرى باختلاف توجهاتها

[1] ينظر: علي كنعان، الصحافة مفهومها وأنواعها، ص 26.

وظروف نشأتها متأثرة بالسياقات الإجتماعية والثقافية والدينية والسياسية التي رسمت ملامح العمل الصحفي وحددت اتجاهاته ومحتواه [1].

3. وظائف الصحافة

مارست الصحافة العالمية أدوارا متنوعة منذ نشأتها، إذ ارتبطت طبيعتها ومهامها بالسياقات الإجتماعية والسياسية التي ظهرت فيها، ورغم بداياتها التي اتسمت بطابع إخباري أساسي إلا أن المراحل التاريخية التي مرت بها المجتمعات أفرزت تحولات عميقة في مضمون العمل الصحفي، بفعل التطورات السياسية والإقتصادية والثقافية، وقد أدى هذا التغير المستمر إلى إضافة مهام جديدة للصحافة جعلتها أكثر التصاقا بالحياة العامة وأكثر قدرة على التعبير عن حاجات المجتمع وتفاعلاته، وهكذا تبلورت وظائف الصحافة عبر الزمن وفق ما تفرضه كل مرحلة من متطلبات.

1.3 الوظيفة الإخبارية: في الواقع " إن الغاية الأولى من الصحافة هي جمع الأخبار التي تمس الصالح العام، والخبر هو الحجر الأساسي في بناء الصحافة قديما وحديثا وهو المادة التي تقوم عليها الصحافة بجميع أنواعها" [2]، وتنبثق عملية التتبع الإخباري من مراقبة السياق العام الذي تنتج فيه المعلومة ومن فهم البيئة الإعلامية التي توجه إليها فالخبر باعتباره وحدة أساسية في العمل الصحفي يخضع لجملة من المعايير المهنية التي تفرض احترام دقته وصحة معطياته، سواء في صياغته أو في التعليق عليه، ويقوم التعليق الصحفي تحديدا على تفسير الخبر وتحليل أبعاده وفق منظور يراعي اختلاف الفئات القرائية وتنوع اهتماماتها وتتمثل المهمة الجوهرية لهذا النوع من المعالجة في تقريب الحدث من القارئ وتوضيح خلفياته بما يساعده على فهم السياق الذي نشأ فيه.

2.3 وظيفة الإستطلاع: وتعد من أهم وظائفها إذ تقوم الصحافة على جمع المعلومات من مصادر مختلفة وتحليلها ثم نقلها للجمهور بموضوعية ودقة، وتهدف هذه الوظيفة إلى كشف الحقائق وتتبع القضايا الجديدة ومراقبة الأحداث الجارية، كما تمكن الصحافة الجمهور من فهم ما يجري حوله في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتوفر له معطيات موثوقة تمكنه من اتخاذ

---

[1] ينظر: محمد حفظ الله، زكية منزل غرابة، الأوضاع العامة في الجزائر خلال الفترة (1847م – 1954) وعلاقتها بنشأة الصحافة، مجلة المعيار، مجلد 27، عدد 2، الجزائر، سنة 2023، ص128.

[2] أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص 34.

مواقف مبنية على المعرفة لا على الإشاعة أو التضليل بهذه الطريقة تصبح الصحافة أداة فعالة في التنوير وصناعة الرأي العام.

3.3 وظيفة التسلية والامتاع: لا تقتصر الصحافة على نقل الأخبار والتحليل فقط بل تسعى أيضا إلى توفير محتوى يحقق المتعة والتسلية للقارئ، وتظهر هذه الوظيفة من خلال الصفحات الفنية والركن الثقافي والقصص القصيرة والبرامج الترفيهية التي تخفف من وطأة الأخبار الجادة وتساهم الصحافة الإمتاعية في خلق توازن داخل الجريدة بين المعلومة الجافة والمواد الممتعة، مما يجعل القارئ يقبل على القراءة دون ملل، كما تساعد هذه الوظيفة في تلبية حاجات الجمهور النفسية والاجتماعية عبر تقديم محتوى يرفه عنه ويجعله قريبا من الثقافة والفنون وأخبار المجتمع فيتحقق بذلك الدمج بين الإفادة والإستمتاع.

وصفوة القول أن الصحافة تبقى مجالا حيويا لا ينفصل عن تطور المجتمعات وتقدمها إذ ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة اليومية للإنسان وبحاجته المستمرة إلى الفهم والتواصل والمعرفة، ومع تغير الزمن وتبدل الوسائل يظل جوهر الصحافة قائما في نقل الحقيقة وتوثيق الأحداث ومرافقة التحولات الكبرى مما يجعلها جزءا أساسيا من الذاكرة الجماعية وحاضرا دائما في كل مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني.